البلاغة بين العلم والفن في ضوء كتاب «النزعة الفلسفية في الفكر النقدي والبلاغي القديم -رؤية معرفية-» لعلي صدّيقي

يونس آيت إبراهيمي
باحث دراسات عليا، جامعة محمد الأول بوجدة، المغرب
البريد الإلكتروني: youness.aitbrahimi@gmail.com
معرف (أوركيد): ٠٠٠٩-٠٠٠٣-٩٤٥٣-٥٢٤٠

تعريف كتاب الاستلام: ١٠-٧-٢٠٢٥ القبول: ٥-١٠-٢٠٢٥ النشر: ٣١-١٠-٢٠٢٥

الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى مناقشة قضية واحدة من بين القضايا الكثيرة التي تناولها الباحث علي صدّيقي في كتابه «النزعة الفلسفية في الفكر النقدي والبلاغي القديم رؤية معرفية»، مُفادها، قضية البلاغة بين العلم والفن؛ حيث نجد أن علي صدّيقي يتبنى في هذا الكتاب علمية البلاغة، ويرى أن المصنفات البلاغية التي اهتمت بالجانب التصنيفي للبلاغة، تؤرخ لمرحلة تعكس الرقي العلمي والمعرفي من مراحل تاريخ البلاغة العربية، وحاولنا الوقوف على أبعاد هذا الرأي المعرفية والوظيفية، ورصد أهم مميزاته في الدفع بالبلاغة إلى التطور والتقعيد. وفي المقابل استحضرنا الرأي الآخر، القائل إن البلاغة فن قائم على تذوق النصوص، الفن الذي به يُعالج الأدب وتُفهم متونه، ويرى أصحاب هذا القول بأن قوة رأيهم تكمن في أنهم يربطون البلاغة بوظيفتها، المتمثلة في تحليل النصوص.

الكلمات المفتاحية:

البلاغة، العلم، الفن، النقد، علي صدّيقي.

للاستشهاد/ Atif için / For Citation: إبراهيمي، يونس. (٢٠٢٥).البلاغة بين العلم والفن في ضوء كتاب «النزعة الفلسفية في الفكر النقدي والبلاغي القديم -رؤية معرفية-» لعلي صدّيقي. ضاد مجلة لسانيات العربية وآدابها. مج٦، ع١٢، ٨٧- ٩٩ https://www.daadjournal.com/ /

Rhetoric between Science and Art in Light of the Book: "al-Naz'ah al-Falsafiyya fi al-Fikr al-Naqdi wa al-Balaghi al-Qadim: Ru'ya Ma'rifiyya" by Ali Saddiki

YOUNESS AIT BRAHIMI

Postgraduate Researcher, Mohammed Premier University, Morocco
E-Mail:youness.aitbrahimi@gmail.com
Orcid ID: 0009-0003-9453-5240

Research Article Received: 10.07.2025 Accepted: 05.10.2025 Published: 31.10.2025

Abstract:

This paper seeks to discuss one of the many issues addressed by researcher Ali Saddiki in his book "al-Naz'ah al-Falsafiyya fi al-Fikr al-Naqdi wa al-Balaghi al-Qadim: Ru'ya Ma'rifiyya" [The Philosophical Tendency in Ancient Critical and Rhetorical Thought: An Epistemological Vision], namely, the issue of rhetoric between science and art. In this book, Ali Saddiki adopts the scientificity of rhetoric, and believes that rhetorical works that focused on the taxonomical aspect of rhetoric chronicle a phase that reflects scientific and epistemological advancement in the history of Arabic rhetoric. We have attempted to examine the cognitive and functional dimensions of this view, and to identify its most important features in pushing rhetoric toward development and codification. In contrast, we have considered the other view, which holds that rhetoric is an art based on textual appreciation, the art by which literature is analyzed and its texts are understood. Proponents of this view believe that the strength of their opinion lies in connecting rhetoric to its function, which is textual analysis.

Keyword:

Rhetoric, Science, Art, Criticism, Ali Saddiki.

تقديم:

تتمحور هذه الدراسة حول إحدى الإشكاليات التي طرحها الباحث علي صدّيقي في مؤلفه «النزعة الفلسفية في الفكر النقدي والبلاغي القديم رؤية معرفية»، وهي إشكالية تحديد ماهية البلاغة بين العلم والفن. يتبنى صدّيقي في كتابه منظورًا يدعم «علمية» البلاغة، ويرى أن المصنفات التي اعتنت بالجانب التصنيفي تُعد دليلاً على مرحلة من النضج المعرفي والعلمي في مسيرة البلاغة العربية، وقد حاولت هذه الدراسة سبر أغوار هذا الطرح واستكشاف أبعاده المعرفية والوظيفية، وتحديد المزايا التي قدمها لدعم مسار تطور البلاغة وتقعيدها، وفي المقابل، عرضت الدراسة للطرح الآخر الذي يُعرّف البلاغة بوصفها «فنًّا» قائماً على الذائقة وتذوق النصوص، ويعدها الأداة التي يُعالج بها الأدب وتُفهم دلالاته، ويجد أنصار هذا الرأي أن قوته تكمن في ربطه البلاغة بوظيفتها الجوهرية المتمثلة في تحليل النصوص.

لكن قبل الخوض في هذا النقاش، لا بد في البداية أن نعرف بكتاب «النزعة الفلسفية في الفكر النقدي والبلاغي العربي القديم» موضوع الدراسة، ونتحدث عن أهميته.

١. التعريف بالكتاب:

صدر كتاب «النزعة الفلسفية في الفكر النقدي والبلاغي العربي القديم -رؤية معرفية-» للباحث المغربي علي صدّيقي عن دار عالم الكتب الحديث الأردنية، سنة ٢٠٢٠م، وهو من الحجم المتوسط، يبلغ عدد صفحاته ١٢٦ صفحة؛ حيث يندرج هذا الكتاب ضمن مشروع علمي كبير «شرع الباحث في بلورته منذ زمن بعيد، وعمل جاهدا طوال سنوات، على تطويره وتحقيقه، سواء من خلال الدراسات والأبحاث التي أصدرها، أو الندوات التي شارك فيها، أو من خلال المشاركة في تكوين الطلبة الباحثين بماستر الفكر النقدي العربي: الأصول والمرجعيات سابقا، وأصول الخطاب الأدبي والنقدي ومرجعياته بالتسمية الحالية بكلية الناظور المتعددة التخصصات جامعة محمد الأول وجدة/ المغرب»[١].

(١) الخطاب والمرجعية، دراسات في أصول التفكير النحوي والنقدي عند العرب: ٥ (بتصرف)

إن الهدف الأساس الذي يصبو إليه الباحث علي صديقي في مشروعه العلمي[1]، البحث في أصول الفكر النقدي والبلاغي العربي ومرجعياته قديما وحديثا، و»الكشف عن هذه الأصول والمرجعيات، سواء أكانت أجنبية دخيلة، أو أهلية أصلية، معرفية كانت أو دينية»[2].

لهذا نجد أن الباحث علي صدّيقي في كتابه الزعة الفلسفية قد سلّط الضوء على ثلاثة مباحث مرجعية للتراث النقدي والبلاغي العربي نذكر في الآتي:

-النزعة الفلسفية في الفكر البلاغي العربي من خلال مقدمات علم البلاغة.

-الأسس الفلسفية لمنهج البحث البلاغي عند المتأخرين: منهج ترتيب المادة البلاغية نموذجا.

-فلسفة الأخلاق الأرسطية في الفكر النقدي والبلاغي العربي القديم.

عمل الباحث في الفصل الأول على الكشف عن الأثر الفلسفي في مقدمات مصنفات البلاغيين المتأخرين؛ حيث أكد «أن هذا التأثر لم يصب جانبا دون آخر، وإنّما كان شاملا، همَّ قضايا البلاغة، ومنهج التأليف فيها، وطرق البحث والنظر، وأساليب الحجاج والتعريف»[3]، وهذا ما انتقده الباحث في بعض فقرات كتابه، وأكّد بأن الاستفادة من المنطق والفلسفة، أو ما سماه الباحث بالأثر الفلسفي لم يراعِ بدقة خصوصية علم البلاغة، إذ يقول: إن «بعض القضايا التي عالجها بعض البلاغيين في مقدّمات علم البلاغة ليمهدوا بها لمقاصد هذا العلم ومباحثه بدت مجتثّة، لأنها غير متصلة بهذا العلم، ولا تشكل مدخلا إليه، ولا تنبني عليه أحكام، وأن إدراجها

(١) تجدر الإشارة إلى أن الباحث علي صدّقي كتب في مشروعه العلمي أربعة كتب نذكرها كالآتي:
-إشكالية التحيز في النقد العربي المعاصر، دراسة تحليلية نقدية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠١٦.
-النزعة الفلسفية في الفكر النقدي والبلاغي القديم رؤية معرفية، عالم الكتب الحديث، ط١، ٢٠٢٠م.
-منطق الحجاج عند ابن حزم الأندلسي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠٢٢.
-الخطاب والمرجعية، دراسات في أصول التفكير النحوي والنقدي عند العرب، دار ركاز للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠٢٣م.

(٢) الخطاب والمرجعية، دراسات في أصول التفكير النحوي والنقدي عند العرب: ٥.

(٣) النزعة الفلسفية في الفكر النقدي والبلاغي القديم رؤية معرفية: ٤٦.

ضمن مقدمات علم البلاغة لغو لا طائل منه، وكان بالأحرى تعويضها بمقدّمات لغوية أدبيه»[١]؛ لكن الباحث يرى بأن كل هذا لا ينقص من قيمة الاجتهادات التي قدّمها هؤلاء الدارسون سواء على مستوى التصنيف، أو الترتيب، أو التبويب.

أما الفصل الثاني، فقد سعى فيه الباحث إلى «بيان المسالك التي اتُّبعت من قِبل البلاغيين المتأخرين في تجنيس مقاصد البلاغة وترتيبها؛ حيث اقتصر حديثه عن منهج ترتيب علم البلاغة التي تشمل المباحث التي تكون داخلة في هذا العلم، وهي -بحسب المتأخرين- المعاني والبيان والبديع»[٢]؛ حيث وقف الباحث على الأسس المنطقية التي أحكمها البلاغيون في تصنيف مواد علمهم وتبويبها، وبين قوة تصنيفات وضعف أخرى.

أما الفصل الثالث، فإنه يبحث في أثر فلسفة الأخلاق الأرسطية في الفكر النقدي والبلاغي العربي القديم؛ حيث حاول الباحث في هذا الفصل أن «يحقق هدفين أساسيين؛ يتمثل أولهما في تجاوز النظرة الضيقة التي تحكّمت في تصور بعض الدّارسين المعاصرين المحدثين لمفهوم الأخلاق، وذلك بإخراجه من إطاره الديني، والنظر إليه نظرة فلسفية كلية. ويتمثل ثانيهما، في محاولة تصويب بعض الأحكام غير الدقيقة التي صدرت عن بعض الباحثين في مسألة الحضور الأخلاقي اليوناني، في الفكر النقدي العربي القديم، وتخطّي النظرة التجزيئية المبتَسرة إلى هذا الحضور»[٣]. ولهذا الغرض وقع اختيار الباحث على كتابين هما: «بلاغة أرسطو بين العرب واليونان» لإبراهيم سلامة، و»مفهوم الشعر، دراسة في التراث النقدي»، لجابر عصفور، «بوصفهما دراستين موجّهتين لأغلب الأبحاث التي أُنجزت بعد صدورهما، والتي اكتفت، في الغالب بترديد الأحكام التي تضمنتها دون تمحيص أو مساءلة»[٤].

٢. أهمية الكتاب:

إن الحديث عن أهمية الكتاب من الناحية العملية، يقتضي الإجابة عن سؤال مهم

(١) النزعة الفلسفية في الفكر النقدي والبلاغي القديم رؤية معرفية: ٤٦-٤٧.
(٢) النزعة الفلسفية في الفكر النقدي والبلاغي القديم رؤية معرفية: ٥٠ (بتصرف)
(٣) النزعة الفلسفية في الفكر النقدي والبلاغي القديم رؤية معرفية: ٨١.
(٤) النزعة الفلسفية في الفكر النقدي والبلاغي القديم رؤية معرفية: ٩١.

مُفاده: ماذا سيستفيد الباحث في البلاغة والنقد الأدبي من اطلاعه على كتاب»النزعة الفلسفية»؟ وهذا ما سأحاول الإجابة عنه على الأقل من وجهة نظري، من خلال العوارض الآتية:

– هذا الكتاب يساعد الباحثين على توسيع أفق قراءتهم النقدية للتراث، ويمكّنهم من إذكاء الوعي النقدي والمعرفي لديهم، من خلال التعرف على السياق المعرفي الذي أفرز المؤلفات البلاغية والنقدية المتأخرة خاصة، حتى يتسنى لهم استيعابها بشكل واعٍ، مما سيخدم مشاريعهم البحثية.

– هذا الكتاب يساعد على تجسير الهوة بين المصنفات التراثية والدراسات الحديثة، وذلك بمحاولة إبراز الكيفية التي استفاد بها الباحثون المحدثون من التراث، والكيفية التي استفاد بها القدامى فيما بينهم.

– تكمن قوة هذا الكتاب كذلك في إعادة تقييم بعض الأفكار السائدة حول البلاغة والنقد الأدبي، ومحاولة الإتيان بالبديل المؤسَّس له علميا، وهذه ميزة يتميز بها الباحث في جل ما قرأته من أعماله.

٣. البلاغة بين العلم والفن في ضوء كتاب النزعة الفلسفية:

تسعى هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على قضية غاية في الأهمية أثارها الباحث علي صدّيقي في كتابه النزعة الفلسفية في سياق حديثه عن التفكير البلاغي العربي؛ حيث انطلق من فكرة مُفادها أن البلاغة علم صناعي تحكمه ضوابط وقواعد منطقية، وتقسيمات واضحة، يرى بأنها تعكس «رقي الروح العلمية للبلاغيين المتأخرين، وابتعاد أساليب التأليف لديهم عن تلك التي كانت مُتَّبعة من قِبل أسلافهم»[1]؛ حيث يؤكد علي صدّيقي أن «البلاغة العربية حققت تطورّا مهما بفضل هذا التداخل الذي حصل بين علم البلاغة والفلسفة اليونانية والإسلامية؛ وأن البلاغيين الذين مثّلوا المدرسة الكلامية، لم يكن همهم هو البحث في «الحسن القولي» بحثا ذوقيا فنيا، وإنما كان هو البحث في البلاغة على النهج الصناعي، أي التأسيس لـ»علم كلي» يكون بمثابة روح الصنعة؛ لأنه لا يكتفي بتتبع جزئيات العلم وظواهره، وإنما يتجاوزه

(١) النزعة الفلسفية في الفكر النقدي والبلاغي القديم رؤية معرفية: ٤٠-٤١.

إلى البحث في خفاياه ودقائقه، فيكون علم البلاغة بمنزلة الأصول التي يحتكم إليها من أراد تتبع الحسن القولي في الكلام العربي شعره ونثره»[١].

والظاهر أن الباحث في هذ الكلام يتحدث عن مرحلة محددة من تاريخ البلاغة، صحيح أنها فترة استمرت قرونا طويلة، إلا أن هناك أطوارا في البلاغة قبلها، وهذا ما أشار إليه الباحث حسن الطويل، حين صنف البلاغة القديمة إلى ثلاثة اتجاهات كبرى، أولها، سماه بالاتجاه التوجيهي[٢] الذي عني أصحابه بتعليم المتكلمين حُسْن إصابة القول، سواء كان المتكلم خطيبا أو شاعرا أو مفسّرا للقرآن وهلُمّ جرًّا، وقد اشتهر هذا مع الجاحظ وبشر بن المعتمر. والاتجاه الثاني أطلق عليه اسم الاتجاه التحليلي[٣] الذي عُرف مع الجرجاني والزمخشري خاصة؛ حيث انفتحت البلاغة العربية القديمة مع هذا الاتجاه على أسئلة الخطاب وقضاياه المتشعبة، وحاولت وصف النصوص انطلاقا من سياقات محددة. أما الاتجاه الثالث فهو الاتجاه التصنيفي الذي يقول عنه الطّويل: «لكن نصوص البلاغة العربية لم تحركها كلها أسئلة الخطاب، إذ حرّك صنفا واسعا منها سؤال التصنيف والتبويب والتنسيق، فقد وجد بعض البلاغيين المتأخرين أنفسهم أمام معرفة بلاغية هائلة وشاسعة، فقرروا تنظيمها في أبواب، وتخصيصها باصطلاحات دقيقة، وتنسيقها بمفاهيم تتناول أبعادا مختلفة في الكلام (المعاني-البيان-البديع)، فذهبوا في ذلك بعيدا»[٤].

وتحسن الإشارة إلى أننا لسنا في هذا المقام بصدد المفاضلة بين اتجاه وآخر؛ بل إننا نروم فقط تسليط الضوء على هذه الاتجهات الكبرى التي عرفتها البلاغة العربية القديمة، والوقوف على الاتجاه الذي يدافع عنه الباحث علي صدّيقي ومناقشته.

ورجوعا إلى التصنيف الذي اقترحه الطويل للبلاغة، نجد أن الباحث علي صدّيقي يرى في الاتجاه التصنيفي بأنه قد دفع بالبلاغة إلى العلمية وجعلها علما مرجعيا ثابتا، يعود إليه المبدع كما الناقد لينهلا منه ويمارس كل منهما مهمته. وهذ ما يؤكده قول الباحث أعلاه؛ حيث ذكر فائدة مهمّة ينهض بها الاتجاه التصنيفي الأمر الذي جعله مدافعا عنه، مُفادها «أن البلاغيين الذين مثلوا المدرسة الكلامية ارتقوا بالبحث

(١) النزعة الفلسفية في الفكر النقدي والبلاغي القديم رؤية معرفية: ٤٧-٤٨.
(٢) البلاغة وأسئلة الخطاب: ١٦.
(٣) راجع البلاغة وأسئلة الخطاب: ١٥-١٦-١٧.
(٤) راجع البلاغة وأسئلة الخطاب: ١٧-١٨.

البلاغي من مجرد التذوق إلى وضع نهج صناعي واضح يحتكم إليه البلاغي لفهم النصوص»[1]، أضف إلى ذلك أن هذا الاتجاه يتيح لمدرسي البلاغة معرفة بلاغية منظمة وفق قوالب جاهزة قائمة على مبدأ التدرج، بدْأ بمعارف أولية بسيطة، وانتهاء إلى مستويات أكثر تعقيدا[2].

وفي مقابل هذا الرأي، نجد أصواتا نقدية ترفض النظر إلى البلاغة على أنها علم، بحجة أن تقعيدها (البلاغة) يجعلها جامدة وجافة، لا تستجيب لوظيفة البلاغة الأساس المتمثلة في بناء الخطابات وتحليلها، وهذا ما ذهب إليه ثلة من الدّارسين العرب من أبرزهم شوقي ضيف، إذ يقول: «وهذه الظاهرة نفسها من التكرار ومن إجداب العقول ومن الجمود نجدها تسري بين أصحاب البلاغة بعد عبد القاهر والزمخشرى ، فإذا هم لا يأتون بجديد في مباحثهم البلاغية، وإذا هم يقصرون عملهم فيها على تلخيص ما كتباه جميعاً (...) والأساتذة يدرّسون هذه البلاغة لتلاميذهم، وقد يؤلفون فيها، دون عناية بالنصوص إلا ما يجلبونه من لدن عبد القاهر والزمخشري (...) وكان من أوائل من عمدوا إلى هذا التلخيص والاختصار الفخر الرازي، ثم تلاه السكاكي فأوفى به على الغاية من الإجمال الشديد مع دقة الحدود والتعريفات والتقسيمات، وهي دقة لم تخل من غموض وعُسْر في بعض جوانبها، ومن أجل ذلك مسّت الحاجة إلى شرح. ومنذ هذا التاريخ أخذت تظهر في البلاغة كتب مجملة وكتب تشرحها، وقد يكون الشرح هو الآخر من الصعوبة والغموض بحيث يحتاج إلى شرح، فتُؤَلّف حاشية تكشف عن غموضه وصعوباته. ولا نفيد من كل ذلك تحليلا دقيقا للنصوص، إنما نفيد أشياء مجتلبة من المنطق والفلسفة وعلم الكلام وعلم أصول الفقه والنحو، وكلها لا تغني شيئا في تربية الذوق وتصوير محاسن الكلام»[3].

إن المتأمل في كلام ضيف سيتبين له أن الدافع وراء انتقاده الاتجاه التصنيفي للبلاغة يكمن في أن الاهتمام بالحدود والتعريفات والتقسيمات أبعد البلاغة عن

(١) النزعة الفلسفية في الفكر النقدي والبلاغي القديم رؤية معرفية: ٤٧-٤٨ (بتصرف)

(٢) «والحق أن هذا الاتجاه البلاغي المعني بتبويب المادة البلاغية، وتنسيقها وفق منهج صناعي دقيق، تحسب له فوائد عديدة، منها أنه نظّم المعارف البلاغية في حدود فهمه لها، وجنّبها التشتت، ووفر للمدرسين فُرصا لتعليمها برؤية تقنية واضحة.» راجع البلاغة وأسئلة الخطاب: ١٨.

(٣) البلاغة تطوّر وتاريخ: ٢٥٢-٢٥٣ (بتصرف)

وظيفتها الأساس، المتمثلة في الوظيفة التحليلية التي لا تتأتى إلا إذا استطاع الدّارس تذوق النصوص تذوقا سليما يفضي بها إلى الكشف عن أبعاده الجمالية والإقناعية، بمعنى أن الذوق شرط في ممارسة البلاغة إنشاءً وتحليلا، ولعلّ اعتماده (الذوق) في الممارسة البلاغية هو الذي سيخرجها من الجانب العلمي، ولهذا نجد أمين الخولي يصف البلاغة بالفن وليس بالعلم في كتابه المشهور فن القول.

وهكذا يمكن القول إن البلاغة باتجاهيها التصنيفي والتحليلي، قدّما فوائد كثيرة للمعرفة البلاغية، ولعلّ هذا الاختلاف الحاصل بين الاتجاهين راجع إلى التباين في الغايات وفي زاوية النظر، ذلك بأن كل مرحلة تاريخية كانت تحركها إشكالات معرفية يفرضها السياق الذي جاءت فيه، بحيث ينكب الباحثون على حلها، فالاتجاه التصنيفي مثلا، وجد أمامه معرفة بلاغية كثيرة خلفها الروّاد وأراد تنظيمها وترتيبها، فوجد أمامه المصنفات المنطقية والفلسفية التي دخلت إلى الساحة العربية، التي وظفتها حقول معرفية مجاورة كالنحو، والصرف، وعلم الكلام، وأصول الفقه... وأثبتت جدارتها في تنظيم الأفكار، لهذا كان شغل الدراسين الشاغل هو اقتفاء أثر أصحاب هذه العلوم وإعادة تصنيف البلاغة وفق ما تمليه المعرفة المنطقية (المقدمات والمقاصد واللواحق)؛ بل الأكثر من هذا فإنهم يورِدون في مقدمات كتبهم خاصة، جملة من المقدمات المنطقية التي ليست لها صلة مباشرة بالبلاغة، وهذا الأمر هو الذي انتقده علي صدّيقي بشدة قائلا: «لقد كان المتكلمون يفتتحون كتبهم بالحديث عن العلم لإثبات قضية النظر. فماذا أراد البلاغيون إثباته؟ وإذا كان الفلاسفة قد حصروا الدلالة اللفظية في المطابقة والتضمن والالتزام، ليبينوا الدّلالة المعتبرة لديهم، فقد رأينا كيف وقع البلاغيون في الاضطراب حين أخرجوا التشبيه من المباحث البيانية لدلالته على معناه دلالة وضعية، ثم عادوا إلى إدراجه ضمنها. ثم رأينا كيف أن بعض البلاغيين استبعدوا الكتابة من موضوع صناعة البلاغة متابعين في ذلك الفلاسفة اليونانيين الذين حطوا من قيمتها، وأغفلوا بلاغة الكتابة والنثر»[١].

أما الاتجاه التحليلي، فقد كانت تحركه أسئلة الخطاب ف«لا يعدم الباحث في المصنفات البلاغية العربية القديمة أن يعثر على أنظار وتوجهات تناولت ذلك الحشد الهائل من المقولات الأسلوبية، من منظور منهجي تفسيري»[٢]. وقد حاول الدارسون

(١) النزعة الفلسفية في الفكر النقدي والبلاغي القديم رؤية معرفية: ٣٨.
(٢) مقولات بلاغية في تحليل الشعر: ٥٩.

البلاغيون المعاصرون أن يَحْذُو حذوَ رواد الاتجاه التحليلي، علما أن عالمنا الحاضر يعجّ بكثير من الخطابات الجديدة التي تثير أسئلة جديدة ينبغي التصدي لها بالدرس والتحليل، وذلك من خلال الانطلاق من المقولات البلاغية التي اقترحها البلاغيون المتقدمون (الجاحظ والجرجاني خاصة) والانفتاح كذلك على ما جادت به الدراسات الغربية بدءا بأرسطو وصولا إلى بيرلمان، وماير ،كريستيان بلانتان، وروث أموسي وغيرهم؛ فضلا عن الاطلاع على الحقول المعرفية المجاورة من قبيل علم الاجتماع، وعلم النفس والدراسات الثقافية وهلم جرّا.

إن الفكرة التي انطلق منها دارسو البلاغة المعاصرون، المتمثلة في جعل البلاغة تنفتح على حقول معرفية متعددة، أفرزت مجموعة من الموجّهات المنهجية والمعرفية التي تضبط ولو نسبيا عمل المحلل البلاغي وتسدده ونوردها كالآتي:

- ربط البلاغة بمقولة النوع الأدبي

- اعتبار الخطاب حدثا تلفظيا

- رفض الاكتفاء بالأدوات التحليلة المحددة سلفا، وضرورة الانفتاح على مختلف التقنيات اللغوية وغير اللغوية الموسومة بالإبداع والنجاعة

- الوعي بهوية الخطاب التأثيرية

-الدمج بين الوصف والنقد أثناء ممارسة التحليل البلاغي[1]

إن المتأمل في هذه الموجهات، سيتبدى له أنها مداخل تحليلية، تساعد المحلل على الكشف عن خبايا النصوص وأبعادها الجمالية والإقناعية، بعيدا عن الهاجس التصنيفي، ومنه فإن الفارق بين الاتجهات البلاغية صادر عن الفارق في الوظيفية المرجوة.

(١) راجع كتاب البلاغة وأسئلة الخطاب: ٢٠-٢١-٢٢-٢٣ (بتصرف)

الخاتمة:

في الختام يمكن القول إن كتاب «النزعة الفلسفية في التفكير النقدي والبلاغي العربي القديم رؤية معرفية» يعد مرجعا مهما في المكتبة النقدية والبلاغية العربية، وذلك استنادا إلى النتائج التي خلصنا إليها في محاور هذا العرض، ونذكرها كالآتي:

-هذا الكتاب يندرج ضمن مشروع علمي كبير انشغل به الباحث منذ سنوات طويلة، يبحث في أصول الخطاب النقدي ومرجعياته.

-هذا الكتاب يساعد الباحثين على توسيع أفق قراءتهم النقدية للتراث، من خلال إذكاء الوعي المعرفي والنقدي لديهم، حتى يتسنى لهم استيعاب الأفكار النقدية بشكل واعٍ، مما ينعكس إيجابا على مشاريعهم البحثية.

-هذا الكتاب يساعد على تجسير الهوة بين المصنفات التراثية والدراسات الحديثة، وذلك بمحاولة إبراز الكيفية التي استفاد بها الباحثون المحدثون من التراث، والكيفية التي استفاد بها القدامى فيما بينهم.

- أما فيما يخص قضية البلاغة باتجاهيها التصنيفي والتحليلي، يمكن القول إن الاتجاهين قدّما فوائد كثيرة للمعرفة البلاغية عامة، ولعلّ الاختلاف الحاصل بينهما راجع إلى التباين في الغايات وفي الزاوية التي ينظر منها كلا الاتجاهين، ذلك بأن كل مرحلة تاريخية كانت تحركها إشكالات معرفية يفرضها السياق الذي جاءت فيه؛ بحيث ينكب الباحثون على حلها وفق ما هو مطلوب في حينه.

المصادر والمراجع

١. البلاغة تطوّر وتاريخ، شوقي ضيف، دار المعرف، مصر، ط١٧، ٢٠٢٣م.

٢. البلاغة وأسئلة الخطاب، حسن الطويل، دائرة الثقافة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط١، ٢٠٢٤م.

٣. الخطاب والمرجعية، دراسات في أصول التفكير النحوي والنقدي عند العرب، علي صدّيقي، دار ركاز للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠٢٣م.

٤. فن القول، أمين الخولي، تقديم، صلاح فضل، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط، ١٩٩٦م.

٥. مقولات بلاغية في تحليل الشعر، محمد مشبال، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط١، ١٩٩٣م.

٦. النزعة الفلسفية في الفكر النقدي والبلاغي القديم رؤية معرفية، علي صدّيقي، عالم الكتب الحديث، ط١، ٢٠٢٠م.

References

1. al-Balāghah taṭawwur wa-tārīkh. Shawqī Ḍayf. Miṣr: Dār al-Ma‘ārif, Ṭ 17, 2023 M.

2. al-Balāghah wa-as’ilat al-khiṭāb. Ḥasan al-Ṭawīl. al-Shāriqah: Dā’irat al-Thaqāfah, al-Imārāt al-‘Arabīyah al-Muttaḥidah, Ṭ 1, 2024 M.

3. Fann al-qawl. Amīn al-Khūlī. Taqdīm, Ṣalāḥ Faḍl. al-Qāhirah: Dār al-Kutub al-Miṣrīyah, Ṭ, 1996 M.

4. al-Khiṭāb wa-al-marji‘īyah, dirāsāt fī uṣūl al-tafkīr al-naḥwī wa-al-naqdī ‘inda al-‘Arab. ‘Alī Ṣiddīqī. al-Urdun: Dār Rikāz lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, Ṭ 1, 2023 M.

5. Maqūlāt balāghīyah fī taḥlīl al-shi‘r. Muḥammad Mishbāl. al-Ribāṭ: Maṭba‘at al-Ma‘ārif al-Jadīdah, Ṭ 1, 1993 M.

6. al-Naz‘ah al-falsafīyah fī al-fikr al-naqdī wa-al-balāghī al-qadīm ru’yah ma‘rifīyah. ‘Alī Ṣiddīqī. ‘Ālam al-Kutub al-Ḥadīth, Ṭ 1, 2020 M.